تمثال الحرية في مرفأ نيويورك

في يده قبس كأنه ينير الدنيا كلها ويمنحها الحرية

الجزء الاول

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك اول تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ ١٠ جماد اول سنة ١٣٢٤

مقدمة السنة الخامسة

ظهور الجامعة في نيويورك

اول تحية لارض الحرية

لما دخلتُ بي الباخرة مرفأ نيويورك بعد مسيرها في عباب الاوقيانوس الهائل سبعة ايام كاملة كنت واقفًا مع فريق من الفرنسويين رفاقي في السفر على جانب الباخرة ننتظر الوصول الى تمثال الحرية المنصوب عند مدخل الميناء. فلما صرنا على موازاة هذا التمثال العظيم ومرت الباخرة امامه وهي تشخر وتلهث تعبًا من مشقة السفر ونار الشوق الى البر تكوي احشاءها — كشفتُ رأسي احترامًا للمبدإ الذي يمثله التمثال. بل كشفت راسي ردًّا لتحيته اذ خيّل لي ان تلك المرأة المهيبة القائمة على تلك القاعدة العظمى تمدُّ يدها نحونا لتنير طريقنا — انها روح نيويورك بل العالم الجديد كله جُعلتْ هناك على طريق السفن القادمة لتحييها عند مرورها اجمل تحية وتذكّرها بانها دخلت من ظلمة الاوقيانوس الى ميناء السلام ومن بلاد ساد فيها الجهل والجهّال والظلم والظلاّم الى جنة الامن والعلم والعدل والمدنية. — فالف سلام وتحية يا ارض الحرية

لقد جئناكِ الوفا الوفا عوالم في عوالم (١) يا ايتها القدر الهائلة التي تنصبُّ فيها العناصر المختلفة من جميع انحاء الكرة الارضية فتصهرها صهراً شديداً . وتجعل منها عنصراً جديداً . تارةً ذهباً وطوراً فضةً وآونة حديداً . وما لا يصير هذا ولا ذاك تبيده وتلحقه عاداً وثمودا . لقد جئناكِ يا مخلل العناصر والقوى البشرية . يا مخزن الكهرباء والفحم والحديد للعالم اجمع . يا ارضاً فيها الفائدة العملية (٢) مقدمة على كل شيءٍ (وتنازع البقاء) اشد فيها منه في اي ارض غيرها . لنا عندكِ قبل ان نعرفكِ وديعة ثمينة حضنتها وعطفتِ عليها عطف الام على طفلها وان لم تكوني اماً لها . بقيَّة امة تعيسة جار عليها الجدُّ العاثر والدهر القاهر . فبعد ان كانت شعباً كبيراً يمتدُّ من بلاد الكلدان حتى غزة وعسقلان . شعباً بنى ادسيس وانطاكية ودمشق وتدمر وبُصرى وصور وصيداء — هذه الاسماء اللامعة في تاريخه لمعان الماس في اصدافه — قد اصبح اليوم وشمله شتاتاً وداره خراباً . مدنه العظيمة سقطتْ من بابل حتى انطاكية . لغته اندثرت وحلت محلها لغة اخرى . فنونه وآدابه وتجارته وصناعته دُرستْ ولم يبقَ منها الا مثل الوشم في اليد . حقوله وبساتينه جفَّتْ وصارت منبتاً للشوك ومطرحاً للهشيم بعد ان كانت « الجزيرة » وحدها تغلُّ ما قيمته اضعاف واردات الدولة العلية العثمانية (٣) ولم يبقَ اليوم من تلك الجنة الزراعية الفريدة في الدنيا كلها سوى آثار الاقنية والترع يغمرها النهر الفائض الذي خرج عن مجراه كما خرج كل شيءٍ فيها عن اصله او تغطيها الاشواك

---

(١) بواخر الاوقيانوس القادمة الى اميركا كأنها عوالم متنقلة لضخامتها وازدحامها بالمسافرين . وقد كنا في باخرتنا «لاتورين» زهاء الف راكب ٨٠ في الدرجة الاولى و١٢٠ في الدرجة الثانية والباقون في الدرجة الثالثة . ومثلها كثير يدخل الى نيويورك كل يوم قادمة من جميع انحاء العالم

(٢) Intérêt pratique

(٣) يسمي العرب الارض ما بين النهرين «الجزيرة» . قال المسيو لينني : ان الارض ما بين النهرين في العراق وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يصدَّق فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك . وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة . فتكون غلة تلك الارض في كل سنة ١٢٠ مليون ليره فرنسوية وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك

والادغال (١) فهذا الشعب الذي فقد كل شيء حتى نفسه وبلاده. هذه البقية الباقية من امة قديمة وتمدن قديم قد استودعك اياه يا ارض العمل والحرية التاريخ والقادر المتحكم في الامم والشعوب. وذلك لتصلحي اود نفسه التي شوّهتها قرون الذل والفقر والجهل. وتشحذي عزيمته التي افناها اليأس وخسران كل شيء. وتملإي بيوته سعة وثروة ليرتفع بها ويرقى لا ليسفل ويتدانى. ولقد جئناكِ يا ارض السلام والامانة فوجدنا انكِ كنتِ على تلك الوديعة التي تفرقت في انحاء بلادكِ تحت اجنحة نسرك الهائل خير حارس امين. فالرؤوس ارتفعت. والبيوت ارتفعت وامتلأت. والايدي سخت وبالمال عن سعةٍ وكرم طبعٍ جرتْ. والنفوس قويتْ ونشطتْ. والعقول دخلتْ الى قلب المدنية واخذتْ تنظر فيها ولئن كان نظرها تارة بعيون صحيحة وطوراً بعيون عليلة. نعم يا ارض النشاط والقوة لقد اعطيتِ وديعتكِ القوة والنشاط وجدّدتِ حياتها وخلقتها خلقاً جديداً. ولكن هل اعطيتها القوة المعنوية كما اعطيتها القوة المادية. انها تقسم نفسها بسذاجة غريبة طوائف طوائف ومذاهب مذاهب. وقد تتخاصم وتتنازع تنازع الاعداء والبعداء. ولكني موقن ان تمثال الحرية الواقف في الميناء كما رأى ذاك النزاع بين الاخوة ابناء الوطن الواحد والشعب الواحد. فانه يتبسم لهذه المنازعات مع قبحها لانها دليل على القوة والحيوية. لان الميت لا يتحمس لشيء واما الحي وخصوصاً اذا كان حديث العهد بالحياة فانه يتحمس لاقل شيء. وما ابتسام التمثال سوى افتخار بان بلاده العظيمة جددت قوة ونشاط امة كانت في ادنى دركات اليأس والضعف واعتبار ان منازعاتها كما اشتدت وعظمت انما هي دليل على عظمة ما استفادته آخراً من النشاط والحماسة والقوة. ولكن ما هذا ما عنيته ايها التمثال. انني لا اجهل ما نحن مدينون به لبلادك من القوة المادية. ولكن هل اعطتنا بلادك من القوة اجتماعياً بقدر ما اعطتنا مادياً. لست اعلم الان جواباً على هذا السؤال لانني ما زلت ضيفاً. فسالاحظ وادرس واقارن لكي استطيع الجواب عنه. وانما وظيفة مجلة «كالجامعة» في وسط مادي هائل كهذا الوسط بين مظاهر «تنازع البقاء» ونواميسه الشرسة المنكرة. هي ان لا تنسى ولا لحظة انه

الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها اضعاف دخل الدولة اربع مرات

(١) قال المستر ويلكوكس المهندس المشهور في مصر حين زيارته ما بين النهرين في العام الماضي ان اعادة تلك البلاد الى حالتها الزراعية العظيمة الاولى لا تقتضي سوى اعادة تلك الترع والاقنية الى ما كانت عليه

يجب عليها لنفسها ولقرائها ان تكون بكل لين ورفق واحترام لجميع الآراء والاشخاص ممثلة لهذا المبدإ . مذكرةً به . داعيةً اليه . حاثة عليه . وهو هو الجامعة الذي يجمع القلوب والنفوس برباط الوداد والتساهل واحتقار اباطيل الدنيا وزخارفها اذا كان يقتضي الوصول اليها دوس تلك المبادىء التي بدونها لا يكون الانسان انسانًا